

968 - "بِجِبِّهِ مَا تَكْسِرَى، وَهَكَسُورٌ مَا تَأْكُلَى، وَكَأَيُّ يَا ضَايَ أَلْمَأُ تَشْبَعِي!!"

تعتة الوفد

وددت لو أننى توقفت عن الكتابة في ظاهرة البرادعى بعد أن تأكد لي يقينا، أنه أبعد نظرا من أن يرشح نفسه، وهذا يجعلني أضعف من شكرى له، وتقديرى لجدية ما يقوم به كمواطن شعر أن عليه واجب ألا يتعالى عن ممارسة حق طبيعى، ينبغى أن ينتبه إليه أى مواطن، حتى لو لم تتح له الفرصة لتحقيقه واقعا إلا بعد مائة عام. نعم الحق يظل حقا حتى لو ظل الحصول عليه مستحيلا، الحق لا يسقط بالتقادم: من حق أى مواطن أن يتصور أنه قادر أن يخدم ناسه ونفسه، في أى موقع، إذا أتاحت له الفرصة، ليس فقط لأن هذا حقه، فهو واجبه أيضا!! هذه هي القضية الأساسية.

الذى يحول بين أى مواطن وبين تصور إمكانية تمتعه بهذا الحق هو سلسلة من الوصاية والأحكام والمؤسسات تبدو كلها كأنها أزلية الوجود، مع أنها قد تكون - في ظروف مثل بلدنا - ليست سوى تماثيل نحتوها بمعرفتهم من صلب غير قابل للصدأ أو الخدش، هذه التماثيل سرعان ما يقدها صانعوها، ثم هم يفرضون عبادتها على بقية الناس تحت أسماء مختلفة.

حين اقترب البرادعى من هذه المقدسات المتألهة انطلقت الأحكام تنهمه مرة "باللوع السياسى"، وبالتهريج والتمثيل والمنظرة... وهي تردد ما معناه: "ما دام لن يرشح نفسه فلم كل هذه "الهيضة والزمبليطة"، ثم لعلهم أضافوا سرا: "وحتى إذا رشح نفسه، فلماذا أيضا كل هذا ما دمنا نضمن له أنه يستحيل أن ينجح". ثم راحوا يتساءلون أيضا: لماذا لا يكتبنى هذا الشيخ المرفه بالتمتع بشمس الشتاء في قصره بجوار فندق الواحة، ثم يتمتع بنسائم الصيف في بيته الريفى في فرنسا، كل ذلك لأنه "البرادعى باشا"، ولا مانع أيضا أن يوصف بأنه "عدو العمال والفلاحين" (والله زمان!!!).

التعقيب على كل هذا يحتاج عدة مقالات لا نفع منها غالبا، فلا أنا من مؤيدى البرادعى رئيسا، ولا هو يمثل تهديدا حقيقيا للواقع المر الجارى بالقصور الذاتى المرعب، أنا فقط أدافع عن حق كل مواطن أن يأمل، وأن يحاول، وأن يثور

مادام يتحمل مسئولية ما يفعل، لذلك سوف أكتفى بتعليق مختصر على مقال واحد لمسئول مهم، محترم، رصين، خليق بما وصفه الصديق سعد هجرس في تعقيبه على نفس المقال، هو الدكتور عبد المنعم سعيد، بكل ليبراليته، وأكاديميته، وموضوعيته، ووظيفته، وقلمه. المقال بعنوان "حديث آخر جاد مع الدكتور البرادعي" (الأهرام 4-10) وهو يحتوي قدر من الجدية، ومن مطالبه البرادعي بالجدية ما يلزمنا أن نأخذه مأخذ الجد بقدر المستطاع

المقتطف (1) :

"...المقصود بالجدية هنا هو أن نبدأ أولا في معاملة الدكتور البرادعي وكأنه واحد منا"

التعقيب:

أكثر الله خيرك يا سيدي إذ سحت أن تعامله "كأنه واحد منا"، ربما بإعادة منحه الجنسية المصرية!!

المقتطف (2) :

"...هذا المنطق (استعداده للترشح إذا ما طلب الشعب ذلك) فيه قدر من الغموض، وقدر من التناقض الذي لا أدري لماذا لم يكتشفه أحد من مؤيدي الدكتور البرادعي أو حتى خصومه؛ حيث إن ما يطلبه رجلنا هنا هو خروج على الدستور الخالي بتعديلات في مواد أساسية عن طريق لم يأت في الدستور أصلا"

التعقيب:

مع أنني لست من مؤيدي البرادعي، ولا من خصومه، فإنني لم ألاحظ أي تناقض وأي غموض في المطالبة بتعديل دستور هو ليس تنزيل إلهي على حد علمي..

المقتطف (3) :

"... فإنك لا تعرف على وجه التحديد عما إذا كان صاحبنا يريد الخروج على النظام أو الدخول فيه وتعديله"

التعقيب:

كيف بالله عليك يا سيدي يدخل في النظام ، والدخول فيه لا يتم - في واقع الحال - إلا بالتسجيل في الحزب الوطني جدا؟ في قريتنا - سيدي - مثل رائع يجسد معنى المطالب المستحيلة، تماما مثل هذا الذي تطلبه من البرادعي، يقول المثل على لسان حماة تخاطب زوجة ابنها وهي تدعوها للمشاركة في الأكل، والخبز جاف تماما، تقول الحماة: "صحيح ما تكسرى، ومكسور ما تاكل، وكلي يا ضناي لما تشبعي!!"

وقياسا يمكن أن تصلنا توصية الكاتب القدير وهو يقول للبرادعي: إياك أن تقترب من الدستور المقدس أو تلمسه، لكن

النظام يرحب بك في داخله ويضمن لك أن يعتريك واحدا منا،
وعليك أن تغيره من داخلنا (الوطني!!)، ثم لك بعد ذلك أن
ترشح نفسك للصبح !!.

المقتطف (4) :

"... بل أنه كثيرا ما يتحدث عن كونه لا يريد الاعتراف
بشرعية القوانين القائمة لأن النظام نفسه ليس شرعيا"

التعليق:

الذى لا يعترف بشرعية القوانين هو مجرم أو ثائر، ولأن
البرادعى يقصد القانون ولو وراثية، فضلا عن أنه يقصد
العلم، إذن لم يبق إلا أن يكون ثائرا، والثائر له قوانينه
المشروعة من وجهة نظره عبر التاريخ، وإلا كان على ثوار
يوليو أن يغيروا النظام من داخل القصر الملكي.

ثم يمضى الكاتب القدير، والأكاديمي العالم في تنبيهه (ولا
أقول معايرة) البرادعى، أنه حتى الآن لم يحصل إلا على بضعة
مئات، وعلى أحسن تقدير، آلاف من المؤيدين، وأن هذا العدد
لا يمثل أى ضغط على الحكومة، فهو يقول:

المقتطف (5) :

(أ) "... وما حدث فعليا هو أن النقابات المصرية لم تلب
النداء المطلوب منها.... "

(ب) "... ما حدث فعلا أن الملايين لم تأت، ولم توقع، وما
حصل عليه الأنصار لا يزيد على عشرة آلاف".

ثم المقتطف الأخير (6) :

".... إن المنطق الليبرالي والوطني يؤكد بالضرورة أن يكون
التغيير عملية مؤسسية تجرى في البلد المعنى، وليس من خلال
فرد، أو مجموعة أفراد، يقررون دون تداول ونقاش وأخذ
وعطاء، في الشكل والمضمون مع من بيدهم التغيير"

التعليق:

يا ترى من يقصد الكاتب القدير بـ "من يبددهم
التغيير؟": مجلس الشعب، أم الحزب الوطني، أم سيادة الرئيس،
وما الذى يضطر أى من هؤلاء أن يوافق أو حتى يسمح بطرح أى
تغيير أيا كان.

وبعد

يشتمل المقال بعد ذلك على آراء غريبة على كاتب المقال
الليبرالي، فهي آراء مليئة بالهمز واللمز للديمقراطية، ربما
لما تصور أن البرادعى يمثل ديمقراطية أرسخ، آراء يمكن أن تخرج
من واحد مثلى لم يعلن يوما أن "الديمقراطية هي الحل"، خاصة
تلك المعروضة حاليا، وقد كنت أتوقع أن مناقشة هذه الآراء
سوف ترد في تعليق الصحفى القدير الصديق سعد هجرس، وهو

أن تتحالف كل القوى الوطنية، والسياسية قد صورت له إمكانية أن يكون هذا المقال مدخلا إلى تفاهم أكثر احتراماً وجد إشراكى ليبرالى بديع، لكن يبدو أن سماحته، ورغبته الجارفة، ولو كان المدخل هو "ثقب إبرة"، عنوان مقالة سعد هو "مبادرة للعبور من ثقب إبرة" (المصرى اليوم 2010/4/13)، وقد حاولت أن أدخل من هذا الثقب لكننى انحسرت فيه، ولم أتمكن أن أدخل جنتهما "الديمقراطية جداً"، "ولا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ"

ولى معك يا سعد كلام آخر،

ربنا يخليك